المسلم بين الإتّباع والتّقليد

(خطبة جمعة 23 من ذي الحجّة 1435هـ الموافق لـ 17 أكتوبر 2014م

لفضيلة الشّيخ عبد الحق شطّاب – حفظه الله تعالى –

بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ – رحمه الله تعالى –)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا،

" . . . مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿17﴾ " سورة الكهف.

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ "سورة آل عمران.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا ﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - صلّى الله عليه وآله وسلّم - ،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، حديثنا حول موضوع:

المسلم بين الإتّباع والتّقليد

إخوتي الكرام،

هناك المسلم العاقل ذو الشّخصيّة القويّة، وهناك المسلم الجاهل ذو الشّخصيّة الضّعيفة الّتي تتأثّر بسرعةٍ، فالأوّل تجده يسلك طريق الإتّباع، أي اتّباع المعصوم محمّد - صلّى الله عليه وسلّم – ، وبذلك يأمن من الخطأ والزّلل والإنحراف، أمّا الثّاني الجاهل صاحب الشّخصيّة الضّعيفة فيتّبع كلّ ناعقٍ، ويتأثّر بكلّ جديدٍ، ولو كان سُمًّا في عسلٍ، وهذا حال المقلّد، الّذي يقلّد كلّ من هَبَّ وَدَبَّ.

قال تعالى واصفًا أهل الفلاح والفوز:

" الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿157﴾ " سورة الأعراف.

فالله تعالى يدعو أهل الكتاب إلى اتّباع النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم — المُبَشَّرِ به في كتبهم، والّذي أحلّ لهم طيّباتٍ كانت محرّمةً عليهم، ووضع عنهم مشاقَّ، وما حرّم عليهم إلاّ الخبائث، ويؤكّد لهم أنّ من اتّبع النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم — ونصره وأيّده يكون مفلحًا في الدّنيا والآخرة.

إخوتي الكرام،

إنّ جيل الصّحابة - رضوان الله عليهم - فهموا أنّ طريق الفلاح في الآخرة والسّعادة في الدّنيا مرهونٌ باتّبـــاع النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم — ، فكانوا يتبعون النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم — في أدقّ التّفاصيل حتّى في الأمور البشريّة.

فهذا أنسٌ بن مالكٍ — رضي الله عنه - الّذي لم يكن يحبّ الدُّبَاءَ، فلمّا عَلِمَ بِحُبِّ النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم — للدّباء أحبّها، وقال لأهله: (**إصنعوا لنا طعامًا بالدّباء**)،

فقيل له: (**إنّك لا تحبّها!**)،

فقال: (**علمتُ أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – يحبّها فأحببتها**).

وكانوا لا يسألون لماذا، بل متى ثبت لهم فعل النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم — لشيءٍ فعلوه، واتّبعوه دون سؤالٍ ولا تقاعسٍ، فهموا أنّ الفلاح في اتّباع النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم -.

روى البخاري ومسلمٌ عن عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - ، أنّه جاء إلى الحجر الأسود فقبّله، فقال: (**إنّي أعلم أنّك حجرٌ، لا تَضُرُّ ولا تنفع، ولولا أنّي رأيت النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – يقبّلك ما قبّلتك**).

واتّباع النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم – كان في كلّ أمرٍ أمر به أو نهى عنه.

روى البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما – قال: { **اتّخذ النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – خاتمًا من ذهبٍ، فاتّخذ النّاس خواتيم من ذهبٍ، فقال النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم –** : (**إنّي اتّخذت خاتمًا من ذهبٍ**)، **فَنَبَذَهُ وقـــــال:** (**إنّي لن ألبسه أبـــدًا**)، **فنبذ النّاس خواتيمهم** }.

بل إنّ الصّحابة - رضوان الله عليهم - والعلماء الرّبّانيّون حذّروا من اتّباع الصّالحين الأحياء وتقليدهم، بل وجّهونا إلى الإقتداء بالأموات الصّالحين، لأنّهم لا يُخْشَى عليهم التّغيير خلافًا للأحياء.

قال الشّاطبي في الإعتصام عن عليٍّ - رضي الله عنه - قال: (**إيّاكم والاستنان بالرّجال، فإنّ الرّجل لَيَعْمَلُ بعمل أهل الجنّة، ثمّ ينقلب لِعِلْمِ الله فيه فيعمل بعمل أهل النّار، فيموت وهو من أهل النّار، وإنّ الرّجل لَيَعْمَلُ بعمل أهل النّار، فينقلب لِعِلْمِ الله فيه فيعمل بعمل أهل الجنّة، فيموت وهو من أهل الجنّة، فإن كنتم لا بدّ فاعلين فبالأموات لا بالأحياء، وأشار إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – وأصحابه الكرام**).

لكن في هذا الزّمان ظهرت أجيالٌ ضعيفة الشّخصيّة، كالرّيشة في مهبّ الرّياح، رياح الغرب الفاجر الفاسق الكافر، لذلك فالمولى جلّ في علاه حذّرنا من تقليدهم، وذمّ من يقلّدهم:

" وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿170﴾ " **سورة البقرة.**

واحدٌ يقلّد الآباء، واحدٌ يقلّد ما تعارف عليه المجتمع، واحدةٌ تقلّد ممثّلةً، أخرى فنّانةً كافرةً، واحدٌ يقلّد لاعب كرة قدمٍ، وواحدةٌ تتّبع هواها الّذي هو مع حبّ الكافرات الفاجرات.

" فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿50﴾ " **سورة القصص.**

وتقليدهم واتّباعهم في الأشكال مظنّة محبّتهم، وكيف تحبّ من يكفر بالله تعالى والله يقول لك:

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ . . . ﴿ 1 ﴾ " **سورة الممتحنة.**

وقد ثبت في الصّحيحين قول النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – : (**لَتَتَّبِعُنَّ سنن من قبلكم حذو القُذَّةِ بِالقُذَّةِ، حتّى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ لدخلتموه**)،

قالوا: (**اليهود والنّصارى؟**)،

قال: (**فمن؟**).

ومشكل المسلمين كبيرٌ جدًّا، حيث اتّبعوا النّصارى واليهود في العقائد والشّرائع، والمعاملات والعادات والتّقاليد.

ففي الشّرائع تجد من يقول لك: (**إنّ الشّريعة لا تَصْلُحُ لهذا الزّمان!**)، ومنهم من يفضّل الحبس على القصاص في الدّماء الّذي أمر به تعالى:

" وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ 179 ﴾ "

سورة البقرة.

وفي الإعتقاد تشبّه بعض المسلمين باليهود والنّصارى، ففعلوا فعلهم في الأنبياء والصّالحين، فعظّموهم إلى درجةٍ أعطوهم خصائص الألوهيّة، فعبدوهم من دون الله تعالى،

فاستغاثوا بهم وطلبوا منهم الحاجات ودفع الكربات، واتّخذوا قبورهم مزاراتٍ تجلب لهم النّفع وتدفع المضرّات.

وإنّ المسلم لَيُصَابُ بالأسى والألم ويتملّكه الحزن على أحوال كثيرٍ من أبناء المسلمين، الّذين يلهثون خلف العادات الوافدة من الأعداء، يَقْبَلُونَهَا لضعف إيمانهم وشخصيّتهم الفارغة، كاتّباع قصّات الشّعر الّتي نهى عنها النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - ، والمُشَاكَلَةِ في لبس ذلك السّروال النّازل، وتقليد الفتيات للكافرات في ارتداء ألبسةٍ كاشفةٍ ضيّقةٍ تجسّم المرأة، وسراويل لاصقةٍ بالجسد تكشف كلّ شيءٍ وكأنّها عاريةٌ، واستعمال أدوات الزّينة وكأنّها في ليلة زفافها، وقد ثبت تحذير النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - من كلّ ذلك.

ثبت في المسند بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قول النّبيّ- صلّى الله عليه وسلّم - : (**ومن تشبّه بقومٍ فهو منهم**).

وقد جاءت شريعتنا بتحريم تشبّه الرّجال بالنّساء، وتشبّه النّساء بالرّجال، روى أبو داود وصحّحه النّوويّ، وهو في صحيح أبي داود للألباني، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: (**لعن رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - الرّجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرّجل**).

وكثيرٌ من الفتيات أصبحن يلبسن لبسة الرّجل (جينز وجاكيتا وبسكات).

كما روى أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ على شرط البخاري ومسلمٍ عن ابـــن عـــمـــر - رضي الله عنهما – قال: { **رأى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – صَبِيًّا قد حُلِقَ بعض رأسه وتُرِكَ بعضه، فنهاهم عن ذلك، وقال: (أحلقوه كلّه أو إتركوه كلّه)** }.

قال النّووي – رحمه الله – : (**وقد أجمع العلماء على كراهة القزع، إلاّ أن يكون لمداواةٍ ونحوها**).

معاشر المسلمين،

حينما نَزِنُ شرائعنا، ونَزِنُ كثيرًا من معتقدات المسلمين، وكثيرًا من العادات والتقاليد، نجد بأنّنا ابتعدنا عن سنّة النّبيّ – عليه الصّلاة والسّلام – ، والمولى تبارك وتعالى يخاطبنا فيقول:

" **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿31﴾** " **سورة آل عمران.**

إذا أردنا أن يحبّنا الله عزّ وجلّ، فيعزّنا في الدّنيا ويكرّمنا في الآخرة، فلا بدّ أن نكون متّبعين لِسُنَّةِ النّبيّ – عليه الصّلاة والسّلام – ، ونوطّن أنفسنا وأنفس أبنائنا وبناتنا على الإلتزام بها، والإقتداء بها.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نِعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه،

معاشر المسلمين،

المسلم الحقّ، ذلك الّذي يسمع كلام الله، ويصغي لسنّة رسول الله – عليه الصّلاة والسّلام – ، فيقول بعد ذلك:

" . . . سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿ 285 ﴾ " سورة البقرة.

" إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ 51 ﴾ " سورة النّور.

هذا حال المؤمن الحقيقيّ، فليزن كلّ واحدٍ منّا نفسه، ومحبّته لرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، هل هي محبّة شعارٍ، أم محبّة حقيقةٍ وبرهانٍ.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،

اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رِضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،

اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،

اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،

اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،

اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،

اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل ودمِّر أعداء الدّين من اليهود والنصارى،

إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلـٰـه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.